مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 4 السنة: 2020
ص: 177 - 201 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أبعاد الهويّة الوطنيّة وتجسيدها في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط

Dimensions of national identity and its embodiment in the Arabic language book for the first year of intermediate education

سميرة وعزيب *

Samira ouazib

المجمع الجزائري للغة العربية

samouazib@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:. 2020/06/27	تاريخ النشر: 2020/11/07

ملخص البحث

يؤدي الكتاب المدرسي دوراً أساسياً في تكوين هوية المتعلم الوطنيّة، وذلك من خلال الصورة القاعدية التي يغرسها في عقله ووجدانه في كل المراحل التعليمية إذ يعتبر وسيلة هامة لتعزيز عملية إكساب منظومة القيم وتحقيق ملمح المواطن الصالح المتشبث بثوابت هويّته والذي تسعى المنظومة التربوية لتكوينه في ضوء الوثائق الرسمية للبلاد وفي ضوء المناهج التربوية.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى رصد أبعاد الهوية الوطنية في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط من خلال نصوص فهم المنطوق وفهم المكتوب.

الكلمات المفتاح: الهوية الوطنية – الكتاب المدرسي – اللغة العربية.

Abstract :

The textbook plays a fundamental role in the formation of the national identity of the learner, through the basic image that he instills in his mind and conscience in all educational stages, as it is considered an important means to enhance the process of imparting the values system and achieving the feature of a good citizen who clings to the constants of his identity and which the educational system seeks to form in the light of official documents of the country and in light of the educational curricula.

Accordingly, this study aims to monitor the dimensions of national identity in the Arabic language textbook for the first year of

* سميرة وعزيب. samouazib@gmail.com

intermediate education through texts of listening and reading comprehension.
Keywords: National identity- School textbook - Arabic language

مقدمة:

مما لا يختلف فيه اثنان، أن المدرسة تساهم بشكل كبير في تشكيل الهويّة الوطنيّة وترسيخ القيم المتعلقة بأبعاد هذه الهويّة، وذلك تحقيقا للسياسة التربوية واستجابة للمبادئ والقيم المعلن عنها في الوثائق الرسمية للدولة، التي تنص على ضرورة ترسيخ الشخصية الجزائرية، وترسيخ وحدة الأمة بترقية وحفظ القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية، باعتبارها مكونات الهوية الوطنية، وتتجلّى السياسة التربوية في صياغة المناهج وإعداد الكتب المصاحبة لها.

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الكشف عن قيم الهوية الوطنيّة بأبعادها الثلاث (العروبة، الأمازيغية، الإسلام) في كتاب اللغة العربية الموجّه لمتعلمي السنة الأولى من التعليم المتوسط، محاولين الإجابة على الإشكالية الآتية: هل تجسّد نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط أبعاد الهويّة الوطنيّة كما تنصّ عليها الوثائق الرّسمية كالدستور والوثائق التربويّة كالمنهاج ؟

1- مفهوم الهويّة الوطنيّة:

إنّ مصطلح الهويّة مصطلح فلسفي تجاذبته بالدّرس عدة علوم، منها علم النفس وعلم الاجتماع، والتاريخ، والفلسفة، وغيرها من العلوم، وعن معنى المصطلح يقول الفارابي: << هويّة الشيء وعينيّته وتشخصه وخصوصيّته ووجوده المنفرد له كل واحد، وقولنا إنّه هو إشارة إلى هويته وخصوصيّته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك>>[1]، وعلى هذا فإن الهويّة هي ماهية الأفراد وانتمائهم والثوابت والمقومات التي ينبني عليها كيانهم المميز لهم عن غيرهم.

أمّا الهويّة الوطنيّة فهي البصمة التي تطبع الشخصيّة الوطنيّة وتميّزها عن غيرها من خلال ثوابت متفق عليها بين الجماعة المشتركة في هذه الهويّة، وتتأسّس الهويّة الجزائرية من ثلاث مكوّنات هي في الحقيقة تحصيل موروث تاريخي، دينيّ لغوي وثقافي، تتمثّل في الإسلام دينا والعربية والأمازيغية لغة وثقافة، وها هو ابن باديس يثبت انصهار هذه الأبعاد الثلاثة المشكلة لحقيقة الانتماء الجزائري

فيقول: << إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدّة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحّدهم في السراء والضراء، حتّى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا، أمّه الجزائر، وأبوه الإسلام>>[2]

2- ملامح الهوية الوطنيّة في الخطاب الجزائري الرّسمي:

يعتبر الدستور المصدر الأول للتشريع، فهو القانون الأساسي الأول الذي يضمن الحقوق والحريات الفردية والجماعية، ويستمد الدستور الجزائري روحه وشرعيته من مبادئ بيان أول نوفمبر 1954 باعتباره المرجعية الأساسية للثورة التحريرية ومنه للدولة الجزائرية، وقد تكفل الدستور الجزائري بكافة صيغه (دستور1963- دستور 1976- دستور 1989- دستور 1996) بتحديد معالم الهوية الجزائريّة المتمثلة في:

<< المادة 2: الإسلام دين الدولة

المادة 3: اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية >>[3]

كما أكّد وشدّد دستور 1996 في المادة 178 على أن أي تعديل دستوري لا يمكن بأي حال أن يمسّ ثوابت الأمة الجزائرية الراسخة وهي الدين الإسلامي واللغة العربية.

هذا، وقد جاء دستور 2002 ليحمل إقرارا بالبعد الأمازيغي للشعب الجزائري، حيث تمت صياغته ليأخذ بعين الاعتبار هذا المكوّن الأساسي للهويّة الجزائريّة، ويتجلى ذلك من خلال المادة الرابعة التي جاء فيها:

<< تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة.

تعمل الدّولة لترقيّتها وتطويرها بكل تنوّعاتها اللّسانيّة المستعملة عبر التراب الوطني>>[4]

لتكتمل بذلك الهويّة الوطنيّة الثلاثية الأبعاد: الإسلام، العروبة والأمازيغية.

وعليه فإن المدرسة الجزائرية وفي إطار المهام المنوطة بها تتكفل بتكريس هذه الثوابت وترسيخها في نفوس الناشئة عبر مختلف المراحل والأطوار الدراسية، وهو ما ينصّ عليه القانون التوجيهي للتربية الصادر سنة 2008، حيث يؤكد في مواده على ضرورة ترسيخ الشخصية الجزائرية وترسيخ وحدة الأمة بترقية وحفظ القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية باعتبارها مكونات الهوية

الوطنية وكذا تعزيز روح الانتماء إلى هويّة تاريخية جماعية مشتركة وتجذير الشعور الوطني والتعلق بالجزائر، حيث ورد في المادة الثانية من الفصل الأول المتعلق بغايات التربية ما يلي:

– تتمثل رسالة المدرسة الجزائرية في تكوين مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري.

– تجذير الشعور بالانتماء للشعب الجزائري في نفوس أطفالنا وتنشئتهم على حب الجزائر وروح الاعتزاز بالانتماء إليها، وكذا تعلقهم بالوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطني ورموز الامة.

– تقوية الوعي الفردي والجماعي بالهوية الوطنية، باعتباره وثاق الانسجام الاجتماعي وذلك بترقية القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والامازيغية.

– ترسيخ قيم ثورة أول نوفمبر 1954 ومبادئها النبيلة...والمساهمة من خلال التاريخ الوطني في تخليد صورة الأمة الجزائرية بتقوية تعلق هذه الاجيال بالقيم التي يجسدها تراث بلادنا التاريخي والجغرافي والديني والثقافي

– تكوين جيل متشبع بمبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية والثقافية والحضارية. [5]

وتتكفل المدرسة بغرس هذه المبادئ والقيم في إطار الوظائف الثلاث التي يحدّدها القانون التوجيهي للمدرسة وهي: وظيفة تعليمية تربوية، وظيفة التنشئة الاجتماعية، وظيفة التأهيل.

2-3 قيم الهويّة الوطنيّة في منهاج اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط:

يتضح من الإطار العام لمناهج الطور الأول من التعليم المتوسط والمعاد كتابتها سنة 2016، أنها تسعى إلى ترسيخ قيم الهوية الوطنيّة وتعزيزها في إطار حديثها عن القيم التي تتبلور انطلاقا من مبادئ الدستور وكذا القانون التوجيهي للتربية، وتتلخص المبادئ التي تتأسس عليها المناهج في ثلاث جوانب هي: الجانب الأخلاقي، الجانب الفلسفي والجانب المنهجي والبيداغوجي، ومن بين ما يُعنى به الجانب الأخلاقي:<< تعزيز عملية إكساب مجموعة من قيم الهويّة الوطنيّة المرجعيّة (الإسلام، العروبة والأمازيغية) التي تشكل بانصهارها المتفاعل "جزائرية" الجزائري وذلك بتناول التراث بكل مكوناته في سياقه الوطني الجزائري>> [6]

ويؤكد الإطار العام لمناهج الطور الأول من التعليم المتوسط على أنّ الكفاءات المستهدفة في مجال قيم الهوية الوطنية يجب أن تنمي لدى المتعلم:

<< – تربية إسلامية قاعدية تعمل على تنمية سلوك فردي وجماعي يتماشى والقيم النبيلة للإسلام...

– تعزيز قيم الهويّة المتمثلة في الإسلام والعروبة والأمازيغية التي تساهم في بناء هويّة التلميذ>>[7]

وتحقيقا لهذا التوجه تم تسطير كفاءات شاملة تتعلق بملمح الخروج في نهاية التعليم المتوسط، ومنها ما ورد في ميدان تكوين الشخصية وعلى صعيد ترسيخ الأصول الوطنية، فإنّ المتعلم:

<< – يتعرف على مبادئ جزائريته Algérianité (الانتماء للجزائر) معبّرا عن احترامه للرموز التي يمثلها،

– يتشبع بمعرفة واسعة لموروث الأمّة في المجال التاريخي والجغرافي واللساني (اللغوي) والثقافي والديني >>[8]

ولم يخرج منهاج اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط عن هذا الإطار حيث تضمن حضورا مكثفا للقيم، خاصة ما تعلق منها بالهوية الوطنية، فمن بين غايات تدريس المادة في هذه السنة تغذية البعد الثقافي والوجداني وغرس القيم الأخلاقية والروحية للأمة الجزائرية، كما أنها تساهم في تحقيق ملمح التخرج الشامل من مرحلة التعليم المتوسط وذلك كونها تغرس في المتعلم <<القيم التي باشر اكتسابها في التعليم الابتدائي، فيرسخ لديه الاعتزاز بانتمائه إلى الأمة الجزائرية بمركباتها الثلاث، الإسلام والعروبة والأمازيغية>>[9]

ويصرح منهاج اللغة العربية في هذا الشأن بالقيم والمواقف المستهدفة التي ينبغي أن تعززها المادة لدى المتعلم في نهاية السنة الأولى، والمتعلقة من جهة بترسيخ معالم الهوية الجزائرية ومكوناتها وجعل المتعلم يحترم رموزها، وتراث وطنه التاريخي والجغرافي والديني والثقافي ويقدّره، ومن جهة أخرى بالضمير الوطني بجعله يحب وطنه ويتعلق به، ويدافع عن رموز وحدة الأمة الجزائرية وانسجامها، ويحافظ على ممتلكات الأمة ويعمل على تمتين الصلة بالتراث الفكري واللغوي والأدبي للأمة الجزائرية.[10]

وإذن، تركّز القيم والمواقف المقرّرة خلال هذه السنة على قيم الهويّة الوطنية وهذه الأولوية المعطاة لها تأتي تجسيدا –كما سبق وأشرنا– لما ورد في النصوص الرسمية، وتحقيقا لطموح الدولة

الجزائرية السّاعية لتكوين مواطن صالح يعتز بهويته الإسلامية العربية الأمازيغية وانتمائه التاريخي والجغرافي، ويمارس حرّياته في حدود قيم المواطنة ويتفتح على الآخر في إطار التعايش السلمي.

وعليه حدد المنهاج مجموعة محاور يتم اختيار النصوص على أساسها، وهي: أحداث تاريخية وغير تاريخية، احترام الوالدين- العلاقات بين الأقارب (الأصول والفروع) – واجبات الأبناء نحو الآباء- العلاقات بين الأسر، المواطنة- التضامن- الشجاعة- التضحية- الحرية – الشهداء، من عظماء بلادي- من عظماء الإسلام- من عظماء العالم- من عظماء التاريخ، العفو والتسامح – التواضع – الأمانة- الصدق- الصبر- النظام- الرحمة- الجود والكرم- الإيثار- حفظ اللسان، طلب العلم- القمار الصناعية- وسائل المواصلات- وسائل الاتصالات- الإنسان والآلة ، الأعياد الدينية- الأعياد الوطنية- الأعياد العالمية، الحيوانات االمتوحشة- الحيوانات الأليفة- الغابة- الحياة في الريف- البحر، نظافة المحيط- الإنسان والتغذية – المرض والعلاج- أضرار التدخين.[11]

تبدو هذه المحاور متنوعة وغنيّة، ويمكن من خلال معظمها تجسيد مبادئ الهوية الوطنية، وللتحقق من ذلك، نستقرئ نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط.

3- أبعاد الهويّة الوطنيّة في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط:

إنّ اللغة العربية مادة حاملة للقيم، غير أن ترسيخ هذه القيم يتطلب اختيار المحتويات بدقة، وبالأخصّ النصوص التعليمية، فهي مجال خصب تبرز من خلاله القيم التي تسعى المنظومة التربوية لغرسها في نفوس المتعلمين، حيث تؤدي دورا بالغ الأهمية في تكوين شخصياتهم باعتبارها مادة معرفية ولغوية وباعتبارها أيضا << من أهم مصادر الإدراك الإنساني لما تحمله من المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية >>[12]، كما أن النص التعليمي فضلا عن كونه محور العملية التعليمية/التعلميّة فهو <<وسيلة تواصل، وأداة إبداع، ووعاء للفكر، ومكوّنًا من مكوّنات الهوية؛ فالنص يمثل لهذه الأمة هويتها وعمقها الإيماني وعمقها الروحي، وارتباطها التاريخي>>[13] ومن هنا كان تجسيد القيم والمواقف المسطرة في المنهاج مرتبطا أساسا بانتقاء نصوص حاملة لهذه القيم واستثمارها بشكل يسمح بتمثلها واستيعاب دلالاتها، فكيف جسّدت نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط أبعاد الهويّة الوطنية ؟

تتوزع أنشطة اللغة العربية، في كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط على ثلاثة ميادين، وهي: فهم المنطوق- فهم المكتوب- إنتاج المكتوب، والميادين هي من المفاهيم المستحدثة في مناهج الجيل الثاني، ويتكون كل ميدان من مقاطع تعلمية "ذات دلالة بالنسبة للمتعلم ومن صميم واقعه المعيش وهي موحية بقيم أسرية ووطنية وإنسانية وأخلاقية واجتماعية" [14] ، وعددها ثمانية تتنوع وتتوزع على عدة مجالات: الحياة العائلية- حب الوطن- عظماء الإنسانية- الأخلاق والمجتمع- العلم والاكتشافات العلمية- الأعياد- الطبيعة- الصحة والرياضة.

وسنحاول رصد قيم الهويّة الوطنيّة بأبعادها الثلاث (الإسلام، العروبة، الأمازيغية) في نصوص ميدان فهم المنطوق وميدان فهم المكتوب حسب المقاطع المدرجة، ومنهجيتنا في ذلك هي تحرّي هذه النصوص واستخراج القيم البارزة المتعلقة بأبعاد الهوية والتي تظهر من خلال عبارات في النص تحيل إليها أو مواقف معيّنة أو ما يتضمنه النص من عادات وتقاليد تنتمي إلى عرف المجتمع الجزائري، مع تفريع كل بعد إلى أهم العناصر التي تكوّنه والتي تتناسب وسن المتعلّم انطلاقا مما يوصي به منهاج اللغة العربية الموجّه للسنة الأولى من التعليم المتوسط.

3-1 البعد الإسلامي:

بعد الاطلاع على النصوص المتضمنة في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط، يتضح لنا أنها قد جسّدت هذا البعد بنسب متفاوتة وهو ما سنوضحه من خلال الجدول والدائرة النسبية الآتيين:

	العدد الإجمالي للنصوص	المضمون			عدد النصوص الممثلة
		عقيدة إسلامية	شعائر وعبادات	الشريعة والفقه الإسلامي	
الحياة العائلية	12	00	00	00	00
حب الوطن	12	00	02	00	02
عظماء الإنسانية	12	01	01	00	02
الأخلاق والمجتمع	12	03	00	00	03
العلم والاكتشافات العلمية	12	00	00	00	00
الأعياد	12	03	00	00	03
الطبيعة	12	00	00	00	00
الصحة والرياضة	12	00	01	00	01
المجموع	96	07	04	00	11

جدول (01): النصوص المجسدة للبعد الإسلامي

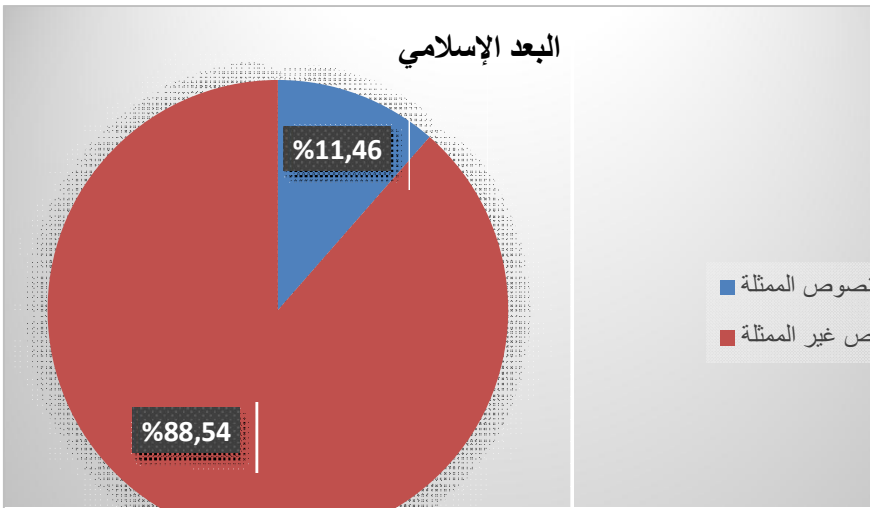

الشكل (01): نسبة تجسيد البعد الإسلامي

يتضح من الجدول رقم (01) ومن الدائرة النسبية أنّ البعد الإسلامي قد تجسد من خلال أحد عشر نصا (11) موزعة على خمسة مقاطع، وقدرت نسبة هذه النصوص الممثلة بـ

(11.46%) وهي نسبة ضئيلة بالنظر إلى أهمية هذا البعد في تكوين شخصيّة المتعلم، إذ يعدّ من أبرز مكونات الهوية الجزائرية، في حين قدّر عدد النصوص التي لا تجسّد هذا البعد بخمسة وثمانين (85) نصا بنسبة (88.54%)، وتتطرق أغلب هذه النصوص لمواضيع متنوعة مدنية اجتماعية وأخلاقية منها: علاقة الأبناء بالآباء، الحرية والعبودية، التجريب على الحيوان، الأخلاق وغيرها، ما يجعلنا نتساءل عن عدم ربطها بالموقف الإسلامي واستثمار الجانب الديني للتأثير في المتعلم فكرا وسلوكا خصوصا وأنها تتعلق بما هو ثابت وراسخ في مبادئ ديننا الحنيف.

أما المقاطع التي جسّدت هذا البعد فهي: حب الوطن–عظماء الإنسانية–الأخلاق والمجتمع–الأعياد–الصحة والرياضة.

تجسّد البعد الإسلامي في مقطع "حب الوطن"، من خلال نصّين، الأول بعنوان "حب الوطن من الإيمان" لابن باديس وقد استهله بالتصريح بأن حب الوطن معنى صحيح وثابت في الإسلام، كما قرن فيه بين حب الوطن والإيمان، والنص الثاني بعنوان "الوطني" الذي أشير من خلاله أيضا للعلاقة الحتمية بين حب الوطن والإيمان.

وتجسّد في مقطع "عظماء الإنسانية" من خلال نصين أيضا، خصّص النص الأول منهما لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وعنوانه "سر العظمة" ومن خلاله يتبين موقف العالم من الدعوة المحمدية في بدايتها، ومجموعة من صفات الرسول الكريم وأخلاقه التي مثلت جانبا من جوانب سرّ عظمته، وساعدت على تحقيق أهداف رسالته السامية عليه الصلاة والسلام، في حين كان النص الثاني قصيدة شعرية عنوانها "عمر ورسول كسرى" ومن خلاله أبرز الكاتب بعضا من سمات الخليفة والصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما النصوص التي حققت القيم الإسلامية في مقطع "الأخلاق والمجتمع" فثلاثة: أولها نص "آيات من سورة الحجرات" وهو النص القرآني الوحيد، كان من مجمل معانيه الدعوة إلى التأدب والتخلق بالخلق الحسن، وكذا الابتعاد عن بعض السلوكات التي تم النهي عنها كالغيبة، والتجسس، والعصبية العرقية، أمّا النص الثاني فعنوانه: "إنّ لكم معالم" وهو حديث نبوي شريف مقتطف من خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلّم يوصي فيه بالمثابرة والعمل الصالح واستغلال فترة الحياة قبل الموت مؤكدا –عليه الصلاة والسلام– من خلال القسم الدي اختتم به الحديث النبوي الشريف أن الحياة الدنيا ليست إلا حياة زائلة وأن الناس سيجزون في دار القرار بحسب

أعمالهم فمنهم من يجزى الجنة ومنهم من يدخل النار، في حين كان النص الثالث "الواجب والتضحية"، يتمحور حول التضحية وواجبات الإنسان نحو وطنه ودينه، تمّ الحث فيه على ضرورة أداء الواجبات من منطلق أنها أولا وقبل كل شيء امتثال لتعاليم الدين الإسلامي، وتطبيق لأحكام القرآن الكريم.

وقد كانت هذه النصوص الثلاثة أكثر تجسيدا للبعد الإسلامي في الكتاب، حيث تم ربط مواضيعها مباشرة بما يحث عليه الدين الإسلامي، بل وقد تم الانطلاق لمعالجتها من القرآن الكريم تارة، ومن الحديث النبوي الشريف تارة أخرى، ليتضمن النص الثالث إحالة مباشرة لموقف الدين الإسلامي من الموضوع الذي يعالجه (الواجب والتضحية).

أمّا مقطع "الأعياد" فقد تضمّن ثلاثة نصوص وهي: "مولد محمد" و"الاحتفال بالمولد النبوي الشريف" و"المولد النبوي الشريف عند الأزهريين".

ويتضّح من خلال العناوين الثلاثة أنها تمحورت حول إحياء ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، أولها نص "مولد محمد" وهو نص شعري للشيخ محمد الهادي السنوسي الزاهري، غرضه المدح والثناء وبيان قداسة هذا اليوم عند المسلمين، أما النصان الآخران وعنوانهما على التوالي "الاحتفال بالمولد النبوي الشريف" و"المولد النبوي الشريف عند الأزهريين" فيتطرقان إلى الموضوع نفسه ألا وهو استقبال المولد النبوي الشريف وكيفية الاحتفال به، غير أننا نرى أنّ تصنيفهما ضمن مقطع "الأعياد" قد يفتح باب التأويلات، إذ من المتعارف أن هناك اختلافا في طبيعة هذا الحدث، أهو مناسبة أم عيد ديني؟ ويظهر هذا الاختلاف والتضارب في النصوص نفسها – وهو ما غفل عنه معدو الكتاب– ، إذ من جهة تدرج مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي ضمن الأعياد الدينية، ومن جهة أخرى يقرأ المتعلم في العبارة الأولى من نص "الاحتفال بالمولد النبوي الشريف" أنه قد <<جرت سنة المسلمين – بعد قرونهم الأولى– أن يحتفلوا في شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان لهم في الاحتفال بهذه الذكرى أساليب تختلف باختلاف البيئات والبلدان>>[15]، وهو الأمر الذي قد يشكل تناقضا في نفسه، فالعبارة السابقة تقرّ أن المسلمين سنّوا الاحتفال بهذه المناسبة بعد قرونهم الأولى ما يعني أنه ليس عيدا راسخا في الدين الإسلامي، كما أنها تقرّ أيضا باختلاف مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة عند المسلمين، وهو ما لا يكون في العادة عندما يتعلق الأمر بعيدي الفطر والأضحى.

وبعد هذا سيجد المتعلم نفسه أمام نص بعنوان "المولد النبوي الشريف عند الأزهريين" والذي تضمن عدّة مظاهر للاحتفال بالمولد النبوي الشريف لا تمتّ إلى واقعه بصلة، فالمعني بهذه الطريقة في الاحتفال هم الأزهريون، وقد ذكر في النص من بين ما ذكر أنّ الأزهري <<إذا تمّ من زيّه ومن هيئته ما كان يريد، خرج فإذا فرس ينتظره بالباب، وإذا رجال يحملونه فيضعونه على السرج، وإذا قوم يكتنفونه من يمين، ومن شمال، وآخرون يسعون بين يديه، وآخرون من خلفه، وإذا البنادق تطلق في الفضاء، وإذا النساء يزغردن من كل ناحية، وإذا الجو يتأرّج بالبخور...كلّ هذا لأن الفتى الأزهري قد اتخذ في هذا اليوم خليفة، فهو يطاف به في المدينة وما حولها من القرى في هذا المهرجان الباهر>>[16] ، كل هذه المظاهر تحيلنا إلى التساؤل عمّا إذا كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عند الجزائريين يتم فعلا بهذه الطريقة، ثم هل يكفي أن نورد مثل هذه المظاهر الاحتفالية دون التعليق عليها أو تصويبها علما أنها قد تحمل قيما مضادة ؟ فبين عنوان النص الذي يوحي بتعظيم حدث مولد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أرسل للناس كافة ليوحدهم على دين الحق، وبين تكريس وتثبيت الاختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية في الاحتفال بمولد رسولهم صلى الله عليه وسلم، وبين تسليط الضوء على مظاهر احتفال تقليدية خاصة بجماعة معيّنة بدلا من تلك المستمدة من الشريعة الإسلامية والمظاهر الدينية الواجب ترسيخها كالتعريف بمواقفه العظيمة وأخلاقه الكريمة من خلال حلقات الذكر وتدارس سيرته صلى الله عليه وسلم...، بين كل هذا وذاك، يقف المتعلم أمام صورة ضبابية لا تلائم مستواه المعرفي ولا الفكري، وهو ما يدعونا إلى القول إنه كان بإمكان معدّي الكتاب تقديم صورة أبسط وأوضح خصوصا في ظل الإرث الأدبي الذي خلفه الكتاب والشعراء في مدح خير البريّة وترجمة سيرته العطرة.

وفي مقطع الأعياد دائما، لفت انتباهنا تغييب البعد الإسلامي في كثير من النصوص المقرّرة فرغم أن عنوان المقطع هو الأعياد، إلا أنّنا لا نكاد نجد في نصوصه تجليا لشعائر الدين الإسلامي التي تظهر من خلال الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، فالمتعلم يجد نفسه أمام نصوص بعيدة كل البعد عن أجواء العيد بمعناه الإسلامي وذلك في ثلاثة نصوص وهي: "عيد القرية" و"هدية العيد" و"اجتلاء العيد"، ويعود ذلك إلى عدم التصريح بالعيد المقصود، لا في العنوان ولا في السند، كما أنّ النصوص لا تحتوي على قرائن لغوية أو معنوية واضحة قد تحيل المتعلم إلى العيد المقصود.

أما النص الرابع الذي عنوانه "عيد الفطر المبارك" فيبدو للوهلة الأولى أنه يحمل معارف ومعان وقيما ذات علاقة بهذا العيد وببعده الإسلامي، إلا أن مضمونه غير ذلك، ولعل القارئ سيستشعر القطيعة حالما يقرأه ويكتشف أنه نص يجسّد البعد الوطني العام أكثر من تجسيده للبعد الإسلامي، فهذا كاتبه العلامة عبد الحميد بن باديس يخص بالتهنئة الأمة الجزائرية، مركزا على سجناء العلم منها، وسجناء السياسة وسجناء الحقوق المغصوبة... مستهلا النص بقوله: <<كنّا قبل اليوم نهنئ الأمة الجزائرية بمثل هذا العيد وليس لها من مظاهر السعادة ما تهنأ به إلا ما نرجوه لها ونأمل>>[17] ، واختتمه بقوله: <<أمة أخذت تقدّم الضحايا في سبيل سعادتها، حقيقة بأن تنال السعادة، وبأن تهنأ بها، فتهانينا إليها بعيدها وبسعادتها>>[18] ويتضح من خلال السياق العام للنص الذي لم يُحل إلى مصدره، أنها تهنئة مقترنة بما تبذله الأمة في سبيل تحقيق مبتغاها، دمج من خلالها بين التهنئة بمناسبة عيد الفطر المبارك، وبين الاعتزاز والفخر بالتضحيات التي أضفت عليه سعادة على حد تعبير صاحب النص.

ومما سبق، نستنتج أن النصوص الممثلة للبعد الإسلامي في مقطع "الأعياد" لم تحمل قيما إسلامية واضحة وصريحة، كما جاءت كثير من النصوص في سياق عام، بعيدا عن خصوصية الدين الإسلامي كما هو الحال بالنسبة لنص "الأعياد" حيث تم وصف العيد على أنّه سنة فطرية جبل عليها الناس[19] ، دون أدنى إشارة لكونها سنة إسلامية، مرتبطة بقصص أنبياء ورسل نستخلص منها العبر والفوائد، وهي بذلك تحمل بعدا عالميا أكثر منه إسلاميا.

أما النص الأخير فتضمّنه مقطع "الصحة والرياضة" وهو نص "السباحة" الذي أشير من خلاله لمكانة السباحة في الإسلام.

3-2 البعد العربي:

في الجدول الآتي سنعرض النصوص التي جسّدت البعد العربي حسب ورودها في المقاطع التعلميّة:

المقاطع	العدد الإجمالي للنصوص	المضمون			عدد النّصوص الممثّلة
		اللغة	الأعلام والمعالم العربية	الثقافة العربية (العادات والتقاليد، الرّموز...الخ)	
الحياة العائلية	12	00	00	00	00
حب الوطن	12	00	00	00	00
عظماء الإنسانية	12	00	04	00	04
الأخلاق والمجتمع	12	00	00	00	00
العلم والاكتشافات العلمية	12	00	00	00	00
الأعياد	12	00	00	01	01
الطبيعة	12	00	00	00	00
الصحة والرياضة	12	00	00	01	01
المجموع	96	00	05	02	06

جدول (02) النصوص الممثلة للبعد العربي

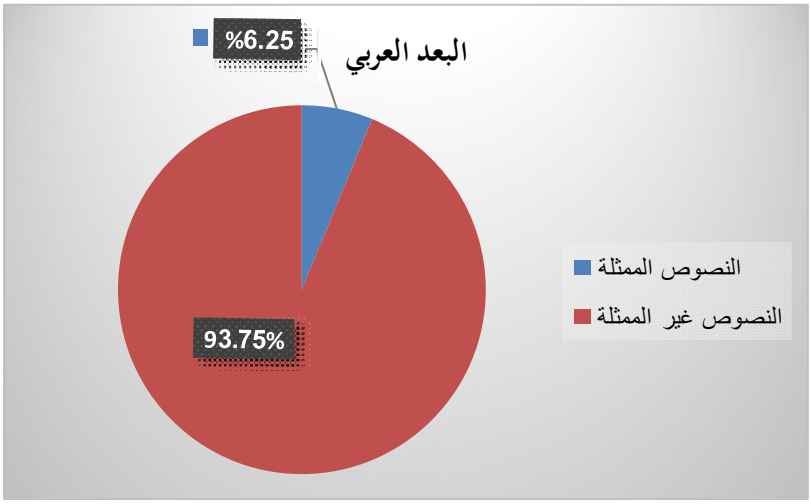

الشكل (02): نسبة تجسيد البعد العربي

يتضح من الجدول رقم (02) والدائرة النسبية أنّ البعد العربي قد تجسّد من خلال ستة نصوص موزعة على ثلاثة مقاطع، بنسبة (06.25%)، أربعة منها من المقطع الثالث "عظماء الإنسانيّة"

وتمحورت حول أعلام وشخصيات عربيّة معروفة صنعت تاريخ وحضارة الأمة العربيّة وهي: ابن الهيثم، الرازّي طبيبا عظيما، عمر ورسول كسرى، الإدريسي.

في حين تضمّن مقطع "الأعياد" نصّا واحدا عنوانه "عيد القرية"، وهو نص يتطرق إلى تقاليد أهل القرية في الاحتفال بالعيد، وكيف يستعد الفلاحون لاستقباله كما يعدّد النص مظاهر الحياة بالقرية عند حلول العيد، كما تضمّن مقطع الصحّة والرياضة نصّا عنوانه "ركوب الخيل" وهو نص شعري- ويتحدث عن حب الشاعر لفرسه، ويمثل هذا النص الولع بركوب الخيل الذي تشتهر به العرب، رغم أنّ النص لا يشير صراحة إلى ذلك غير أنّه يُختتم ببيت ينوّه بحب وعشق العرب لركوب الخيل وهو: ركوب الخيل يعشقني ويعشق أرض أوطاني

إن المتأمل في الجدول يدرك أن النصوص المحققة للبعد العربي ضئيلة مقارنة بالعدد الإجمالي للنصوص والذي قدر بستّ وتسعين نصا، في حين قدّرت نسبة النصوص التي لم تجسد هذا البعد بـ (92.71%) وهي نسبة نجدها مرتفعة جدا، ولعل معدّي الكتاب المدرسي انطلقوا لتجسيد هذا البعد من فكرة تعريف المتعلم بأهمّ الأعلام العربية وهو ما يفسر الحضور الطاغي لهذا النوع من النصوص في المقطع االثالث، في حين تم تغييب النصوص الممثلة للثقافة العربية والنصوص التي تتناول التاريخ العربي والأصول العربية والحروب والصراعات والممالك والعشائر وغيرها، وربما نعزو ذلك لعدم ملاءمتها لسنّ المتعلم. غير أننا نستغرب عدم تضمين هذا الكتاب نصوصا تمثل الثقافة الجزائرية وعادات المجتمع الجزائري وتقاليده ومظاهر الحياة اليومية، رغم أن الأدب الجزائري لا يخلو من كتّاب قرّبوا صورة المجتمع الجزائري في مختلف مراحل بنائه وقدّموا رؤية صادقة عنه وعن مظاهره المختلفة (العادات والتقاليد) وذلك في شتى المجالات، كما لا يخلو من كتّاب أبرزوا في مؤلّفاتهم جمال وروعة المناطق المتنوعة التضاريس من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وعليه نستطيع القول إنّه يفتقر للمسة "الجزائري"، وهو ما يدعونا للتساؤل عن كيفية تحقيق مبدأ "جزائرية الجزائري" المصرّح به في المنهاج، ثم كيف نطمح إلى تكوين مواطن متفتح على الثقافات الأخرى ومدرك للتحولات الحضارية الإنسانية ما لم يكن متشبعا بثقافته الأمّ ؟

كما نستغرب افتقار مقطعي "الحياة العائلية" و"الأخلاق والمجتمع" مثلا للقيم التي تمثل الثقافة العربية والمجتمع العربي وثقافة المجتمع الجزائري، حيث اتّسمت نصوصهما بالعمومية، بل إنّ أغلبها

لا يمتّ بصلة للثقافة العربيّة، ولا نغالي إذا قلنا أنّ بعض هذه النصوص يروّج لأفكار دخيلة عن المجتمع العربي عامة والجزائري خاصّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

1- يطالعنا في المقطع الأول نص بعنوان "في انتظار أمين" وهو نص مدرج ضمن فهم المنطوق، وفحواه القلق والمخاوف التي انتابت أم أمين والخواطر السلبية التي راودتها وهي تنتظر ابنها ليلة العيد، غير أنّ الأم وفي خضم الحالة النفسية التي كانت تعاني منها تلفظت بعبارة عتاب تقول فيها: <<هذا شأن أولاد هذا الزمان! هذا شأن المتزوجين في هذا العصر المتمدّن: عبيد لنسائهم>>[20] ، إنّنا نقف أمام مثل هذه العبارة وقفة مطوّلة، إذ إنّها تحمل شحنة من المعاني السلبية التي قد تؤثر على المتعلمين في مثل هذه السنّ، كيف لا، وهذه العبارة تفوّهت بها أم عن ابنها، وهو ما من شأنه أن يترك انطباعا سيئا لديهم، وفكرة سلبية مسبقة عن العلاقة التي تربط الزوج بزوجته ومن ثمّ بأمه !

2- ونجد في مقطع "الأخلاق والمجتمع" نصا بعنوان "مدرّسة رغم انفك" لزهور ونيسي، والذي يكرّس قيما سلبية أكثر منها إيجابية، بداية بالعنوان الذي يحمل بين طيّاته نوعا من العصبيّة والعنف والعداوة، انتهاء بالأفكار المسوّقة في النَّص والتي تدعو إلى التخلي عن آداب الحوار وعدم احترام الآخر والاستهزاء به أمام الآخرين.

3- وفي مقطع الطبيعة، يطالعنا عنوان "الطبيعة والإنسان" الذي لا ينسجم ومضمون النص، هذا الأخير جاء مبتورا عن سياقه مما جعله يبدوغير مفهوم ويطرح أكثر من علامة استفهام، حيث يدور موضوعه حول راع يراقب من أعلى هضبة امرأة مضطربة مصفرة الوجه تحمل رضيعا، ثم تتركه بعد أن تودّعه وتهم بالرجعة، فيقفز الشاب محاولا إدراكها وبمجرّد ما تحسّ به تبدأ بالصراخ الهستيري وهي تردد عبارة: << دعني ! ، اتركني ! ، خذوه إن شئتم، واعطفوا عليه إنه بَرِيءٌ لا ذنب له>>[21] إننا نتساءل حقا عن السر الكامن خلف هذا التصرف المشين الذي يجعل أما تتخلى عن ولدها ! ثم ما المغزى الذي يرمي إليه نص كهذا ؟

4- استوقفنا في مقطع الأخلاق والمجتمع، نص لجبران خليل جبران عنوانه: "العبوديّة"، يتطرّق فيه الكاتب إلى العبوديّة وأنواعها، هذا النص إضافة لكونه يفوق مستوى المتعلمين فكريا ولغويا فإنّه يسوق لأفكار سلبية تتنافى والعقيدة الإسلامية والعلاقة الأسرية المبنية على الاحترام والمودة والطاعة، إذ تطالعنا في الفقرة الأولى هذه العبارة: << فرأيت الأطفال يرضعون العبوديّة مع اللبن،

والصبيان يتلقون الخضوع مع حروف الهجاء، والصبايا يرتدين الملابس مبطّنة بالانقياد والخنوع، والنّساء يهجعن على أسرّة الطاعة والامتثال..>>[22] ، إن القراءة العميقة لمثل هذه العبارة يكشف لنا عن رسالة سلبية مبطّنة في طيات معانيها، فلو تأمّلنا كلمتي "الانقياد والخنوع" المنسوبتين للصبايا، وعبارة "الهجوع على أسرة الطاعة" المنسوبة للنساء، لقلنا إنّ القصد هو المساس بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتحديدا باللباس المحتشم للفتاة الذي وصم بمعنى يدلّ على السلبية، فالانقياد والخنوع هو سلوك من كان مجبرا على الشيء مكرها عليه، يفعله عن غير طواعية، وفي العبارة الثانية إشارة واضحة إلى طاعة الزوجة للزوج والامتثال لأوامره، والتي ساقها الكاتب في ثوب القسرية كذلك، وفي ذلك مجانبة للصواب فتلك النظرة الضيّقة ألغت حقيقة أن الدين الإسلامي يحفظ للمرأة كرامتها وحقوقها، وما طاعتها لزوجها إلا تحقيق للفطرة السليمة.

لقد ارتكب معدو الكتاب المدرسي خطأ جسيما بانتقائهم لمثل هذا النص الذي يحمل ما يحمل من الإشارات السلبية، فإذا كان الكتاب المدرسي حاملا للقيم ومرسّخا لها، فإننا بمثل هذا النص نكون بصدد تهديم هذه القيم بمعول العشوائية، العشوائية في اختيار نصوص تربوية هادفة، واضحة المقاصد، غير مخالفة للعرف الديني والاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي والجزائري على الأخصّ.

3-3 البعد الأمازيغي:

من خلال الجدول الآتي سنتبيّن مجموع النصوص المتضمّنة للبعد الأمازيغي:

المقاطع	العدد الإجمالي للنصوص	المضمون		عدد النّصوص الممثّلة
		الثقافة الأمازيغية (العادات، التقاليد، الأعياد...الخ)	المعالم والرموز الأمازيغية	
الحياة العائلية	12	00	00	00
حب الوطن	12	00	00	00
عظماء الإنسانية	12	00	02	02
الأخلاق والمجتمع	12	00	00	00
العلم والاكتشافات العلمية	12	00	00	00
الأعياد	12	00	00	00
الطبيعة	12	00	00	00
الصحة والرياضة	12	00	00	00
المجموع	96	00	02	02

جدول (03) النصوص الممثلة للبعد الأمازيغي

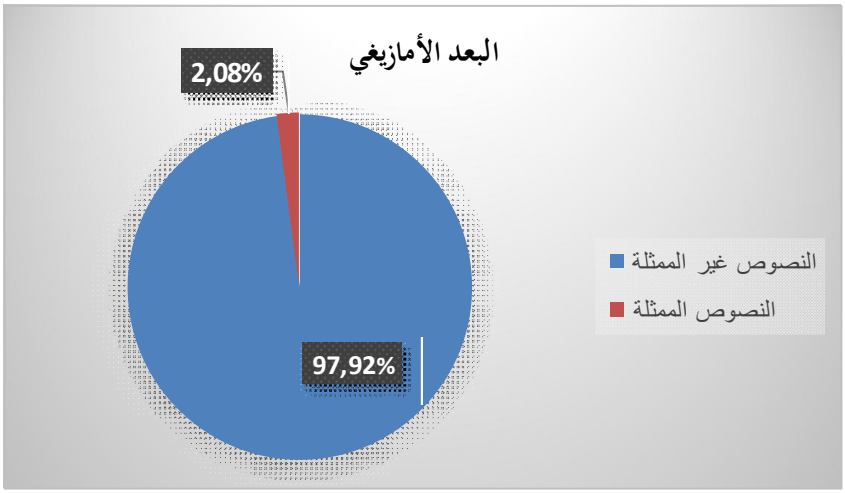

شكل (03) نسبة تجسيد البعد الأمازيغي

إنّ قراءة الجدول رقم 03 والدائرة النسبية تبيّن لنا أنّ معدي كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط قد أهملوا البعد الأمازيغي، حيث لم يجسّد هذا البعد من الهويّة الجزائرية سوى نصّين

يتيمين من مقطع عظماء الإنسانية، وهما: "تين هينان الملكة الأمازيغية الجزائرية" و"ماسينيسا" أي ما نسبته (02.08%)، في حين قدرت نسبة النصوص غير المجسّدة لهذا البعد بـ (97.92%) وهو ما نعتبره إجحافا ومخالفة لما نصّ عليه المنهاج، فتغييب الثقافة الأمازيغية يؤكد مرة أخرى عدم تحقيق الكتاب لمبدأ "جزائرية الجزائري"، بل إنّ هذا التغييب نحسبه يعكس رؤية فردية لمعدي الكتاب وتوجّهاتهم التي لا تعكس توجّهات الدولة الجزائريّة المنصوص عليها في الدستور وباقي الوثائق الرسمية للبلاد.

3-4 البعد الوطني العام:

نشير بداية إلى أن الهويّة الوطنيّة لا تكتمل إلا بالبعد الرابع، ألا وهو البعد الوطني العام والذي تحقق في عدد معتبر من النصوص، وهو ما يتوضح في الجدول الآتي:

المقاطع	العدد الإجمالي للنصوص	المضمون			عدد النّصوص الممثّلة
		تاريخ الجزائر: الوطنية الثورة التحريرية، الأيام الوطنية، الشخصيات..	المجتمع الجزائري: العادات، التقاليد، الثقافة الشعبية...	المعالم والمدن	
الحياة العائلية	12	00	00	00	00
حب الوطن	12	09	00	00	09
عظماء الإنسانية	12	02	00	00	02
الأخلاق والمجتمع	12	00	01	00	01
العلم والاكتشافات العلمية	12	00	00	00	00
الأعياد	12	01	00	00	01
الطبيعة	12	00	00	02	02
الصحة والرياضة	12	00	00	00	00
المجموع	96	12	01	02	15

الجدول (04) النصوص الممثلة للبعد الوطني العام

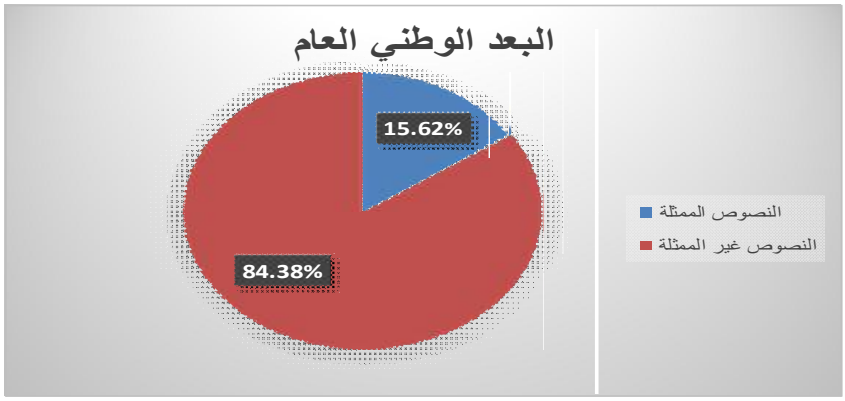

شكل (04) نسبة تجسيد البعد الوطني العام

نلاحظ من خلال الجدول والدائرة النسبية، أنّ نسبة النصوص المجسّدة لهذا البعد بلغت 15.62% بمعدل 15 نصا متضمّنا في خمسة مقاطع هي: حبّ الوطن- عظماء الإنسانية- الأخلاق والمجتمع- الأعياد- الطبيعة، غير أن نسبة النصوص كانت متفاوتة من مقطع لآخر، حيث حظي مقطع حب الوطن بحصة الأسد بتسعة نصوص هي: "ثق يا أيّها الوطن المفدّى" وهو نص يعبر فيه صاحبه عن ارتباطه الروحي بالوطن وإخلاصه ووفائه له، واستعداده للدفاع عنه إذا ما أصابه مكروه، ونص "متعة العودة إلى الوطن" الذي يرسخ قيم الاعتزاز بالانتماء إلى الوطن والافتخار بالنسب العربي، ونص "الوطنيّ" الذي يدعو إلى تعزيز مجموعة من القيم الوطنية كحب الوطن وتقديره واحترامه والاعتزاز برموزه، ومجموعة من النصوص التي تخلد الثورة التحريرية وتعود بالذاكرة إلى بعض المشاهد البطولية التي قام بها الشعب الجزائري وكذا الممارسات الإجرامية الشنيعة من طرف السلطات الاستعمارية، وهذه النصوص هي: فداء الجزائر- نوفمبر- سطر أحمر من الأمس- ليلة للوطن- الشاعر المضطهد — حدث ذات ليلة.

وقد تضمّن مقطع عظماء الإنسانيّة نصّين يخلّدان شخصيتين بارزتين ويعرفان بمواقفهما خلال الثورة التحريرية وهما "جميلة بوحيرد" و"البشير الإبراهيمي".

في حين تضمّن مقطع الأخلاق والمجتمع نصا واحدا هو "سوء المهلكة" ويتعرض الكاتب في النص للحالة الاجتماعية للشعب الجزائري والمشاكل التي يتخبط فيها المجتمع كالفقر والجهل، مبرزا دور العلم والاتحاد في الخروج من هذه الوضعية المزرية.

كما تضمّن مقطع الأعياد كذلك نصّا يتيما عنوانه "عيد الجزائر" والذي يصف العيد في الجزائر المحتلة وحال الشعب الجزائري وهو يحيي العيد بقلوب دامية، وقد استغربنا أن يُدرج هذا النص ضمن مقطع الأعياد بدل مقطع حب الوطن، ذلك أن موضوع النص لا يتناسب والأجواء الروحانية التي تتميّز بها الأعياد !

في حين تضمّن مقطع الطبيعة نصين، النص الأول بعنوان "مدينة الجسور" الذي يُبرز مميزات مدينة قسنطينة وأهم معالمها الأثرية وجسورها المعلقة الباهرة، أما النص الثاني فعنوانه "جمال البادية" وفيه يتغنى الشاعر بجمال البادية والصحراء ويدعو إلى التأمل في حياة أهلها البسيطة.

يتضح من إحصائنا للنصوص الممثلّة للبعد الوطني العام، أنها عالجت مواضيع عدّة تدعو إلى تعميق الإحساس بالانتماء والاعتزاز بالموروث التاريخي للجزائر، وهو ما تجلّى في النصوص الثورية التي ترمي إلى التذكير بالتاريخ البطولي للشعب الجزائري والتضحية من أجل الوطن والتي طبعت المقطع الثاني بالخصوص، ونصوص أخرى – على قلّتها- تخلّد شخصيات ثورية ساهمت في منح الجزائر حرّيتها واستقلالها وتتغنى بأمجادها، غير أننا في المقابل لا نعثر في الكتاب على نص واحد يمثل الجزائر المستقلة ويعالج مواضيع تتعلق بالفترة الممتدة من 1962 إلى يومنا هذا، وعلى هذا يمكن القول أن الكتاب المدرسي الجديد يقدم رؤية مختزلة عن النضال الجزائري وعن التاريخ الجزائري، فالبعد الوطني لا يتوقف على الفترة الاستعمارية فحسب بل يمتدّ إلى مراحل البناء والتشييد والثورة الزراعية والتحولات التي شهدتها الجزائر خلال هذه الفترة.

كما لاحظنا أن بعض النصوص جاءت مناقضة للقيم الوطنية التي تعمل المدرسة على تكريسها وذلك نتيجة بترها عن سياقها أو نتيجة الترجمة السيئة لها وهذا نص "متعة العودة إلى الوطن" الذي ورد في نهايته قول الكاتب <<حينئذ أدركت أنّ مدينة الجزائر ليست لنا نحن العرب بل لهم>>[23] ، وهي عبارة ولا شك لها عواقب وخيمة وستخلّف أثرا عميقا في نفوس المتعلّمين بل وقد تأخذنا إلى منزلق خطير إن لم نوضّح سياقها التاريخي الذي قيلت فيه، فالأكيد أن المتعلم لا يمتلك قدرات ذهنية تسمح له بالبحث في البنية العميقة للنص وفهمه في غياب السياق التاريخي

الذي لا يقدمه الكتاب والذي قد يتغافل عنه أو يهمله الأستاذ، وهو ما سيؤدي إلى ترسيخ قيمة سلبية عكس ما كان ينتظر من النّص، فبالعودة إلى بدايته كانت القيم الإيجابية كالافتخار بالانتماء والهويّة الوطنية والحنين إلى الوطن والرغبة في العودة إلى أحضانه محققة لولا هذه العبارة التي اختتم بها النّص، مما يفتح باب التأويل أمام المتعلم، والذي كان من الممكن تفاديه لو تصرّف واضعو الكتاب في النص أو توقفوا عند العبارة التي تنتهي بها الفقرة الثانية حيث يهمس الكاتب في أذن أحد الرّكاب: "منظر جميل أليس كذلك ؟"، والمفارقة التي نتوقف عندها هنا، هي أن هذا النّص كان مبرمجا في الكتاب السابق، غير أنّ هذه العبارة لم ترد فيه، حيث ينتهي النص بعبارة: "ما أجمل بلادي!

وأخيرا، يتبين لنا من خلال التحليل الذي قمنا به، أنّ حضور قيم الهويّة الوطنية كان متفاوتا من بعد إلى آخر، كما سجلنا ارتفاعا نسبيا في قيم البعد الوطني العام مقارنة بالأبعاد الأخرى، وهو ما يتضح من خلال الدائرة النسبية الآتية:

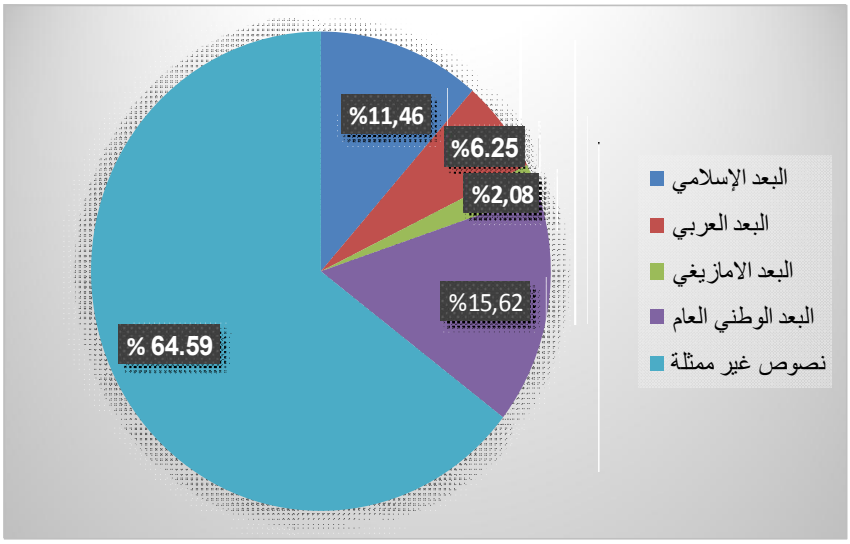

شكل (05): أبعاد الهوية الوطنية في الكتاب

نتائج الدراسة:

بعد تحليلنا للنصوص المتضمنة في كتاب اللغة العربية للسنة الاولى من التعليم المتوسط، نتوقف عند جملة من النتائج التي نعرضها فيما يلي:

ركزت الوثائق التربوية الرسمية التي قمنا باستقرائها والممثلة في كل من الدستور، والقانون التوجيهي للتربية (2008) والإطار العام لمناهج الطور الأول من التعليم المتوسط في جيلها الثاني فمنهاج اللغة العربية للسنة الأولى من المرحلة نفسها، على ترسيخ ثوابت الهوية الوطنية (إسلام، عروبة، أمازيغية، وطن) من خلال المواقف التعليمية وكذا مضامين الكتب المدرسية، وقد كان خطابها واضحا مشدّدا على ضرورة غرس هذه القيم عند المتعلمين في مختلف المراحل الدراسيّة، محدّدا معالم هذه الهويّة في أبعاد ثلاث هي: الإسلام– العروبة والأمازيغية، مؤكدا أنّ إسقاط أيّ بعد من هذه الأبعاد الثلاثة يخلّ بحقيقة الهوية الوطنية الضاربة في أعماق الموروث التاريخي والحضاري للجزائر، جاعلا من مبدأ "جزائرية الجزائري" هدفا منشودا تسعى الدولة الجزائرية من خلال المنظومة التربوية إلى تحقيقه في مناهج الجيل الثاني، غير أنّ معدّي الكتاب المدرسي المعني بالدراسة لم يوفقوا في اختيار النصوص التعليمية المناسبة والتي يمكن من خلالها تجسيد هذه الأبعاد، فرغم أن مواضيع المقاطع التعلمية المدرجة في الكتاب توحي بقابلية التجسيد لمختلف الأبعاد والقيم المتداخلة في تكوين "الهوية الجزائرية" إسلامية كانت، أو عربية، أو أمازيغية، أو وطنية عامة، إلا أن نوعية النصوص المنتقاة والمتضمّنة فيها اتّسمت بالعموميّة تارة وبعدم الانسجام تارة أخرى مع مبادئ وثوابت الهوية الجزائرية في كل أبعادها، وهو ما برّرناه بالاقتباس السيّئ الذي أخلّ بالمعنى العام للنصوص، وكذا انتقاء نصوص فارغة من محتواها لا تمثل أية قيمة بالنسبة للمتعلم مثل نص: "الطبيعة والإنسان" ونص "اجتلاء العيد" ونص "العبوديّة" ونص المولد النبوي عند الأزهريين" وغيرها كثير وليس على القارئ إلا الاطلاع عليها ليكتشف مدى فداحة الخطأ الذي ارتكبه معدو الكتاب بانتقائهم لهكذا نصوص.

وقد جسّدت بعض النصوص التعليمية المتضمنة في الكتاب جملة من الأبعاد المكونة للهوية الوطنية المصرح بها في الوثائق الرسمية، غير أن عدد هذه النصوص كان ضئيلا وغير كاف للقول إنها عزّزت ثوابت هذه الهويّة والحكم بفعاليتها في التأثير على المتعلمين وجعلهم يدركون معالم هويّتهم ليتشبثوا بها ويشعروا بأهميّة انتمائهم لها، خصوصا وأن نسبة النصوص التي لم تعالج مواضيع تساهم في تشكيل صورة واضحة ورؤية معمقة لأبعاد الهويّة الوطنيّة كانت مرتفعة، فمجموع النصوص الممثلة للبعد الإسلامي كان 15 نصا، والممثلة للبعد العربي 06 نصوص، ونصّان فقط مثّلا البعد الأمازيغي، وخمسة عشر نصا مثّل البعد الوطني العام، ما يعني أن مجموع

النصوص الممثلة لهذه القيم مجتمعة هو 38 نصا من مجموع 96 نصا، بنسبة (35.41%) وهي نسبة لم ترق حتى إلى النصف.

هذا وقد سجلنا اشتمال بعض النصوص على قيم مضادة تتنافى والقيم التي تطمح الدولة الجزائرية إلى غرسها في نفوس المتعلمين كما هو الأمر بالنسبة لنصي "متعة العودة إلى الوطن" و"المولد النبوي الشريف عند الأزهرين"، وهو ما يحدّ من الاستثمار الجيد للقيم الواردة في هذه النصوص.

كما لاحظنا على النصوص المجسّدة لأبعاد الهويّة الوطنية أنّها منتقاة وفق إيديولوجية معيّنة، أدّت إلى اختلال التوازن بين مكونات البعد الواحد، فالبعد الإسلامي تجسّد من خلال قيم تتعلق بالشعائر والعبادات، والعقيدة الإسلامية، في حين لا نجد له تمثيلا فيما يخص الشريعة والفقه الإسلامي ...

أما البعد العربي فنجده ممثلا من خلال الأعلام، دون أي حضور للثقافة العربية كالعادات والتقاليد والحضارة والموروث الشعبي والتاريخي إلى غير ذلك، كما لا نجد حضورا لأهم مظاهر وثوابت هذا البعد والمتمثل في اللغة العربية، وهي الملاحظة نفسها التي سجلناها في البعد الوطني العام أين اختزل في التاريخ الثوري للشعب الجزائري دون أن يكون لجزائر اليوم ومتطلبات التنمية والمواطنة والسلوك المدني أيّ حضور في الكتاب.

أمّا البعد الأمازيغي فتمحور حول الأعلام والرموز الأمازيغية من خلال نصّين يتيمين، وكان حضور الثقافة الأمازيغية الثرية بعاداتها وتقاليدها ومناسباتها الاحتفالية وتنوعها اللساني غائبا ومغيّبا تماما.

خاتمة:

نخلص في آخر بحثنا هذا إلى أن كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط، والذي قمنا بدراسة النصوص المتضمّنة فيه بغية الوقوف على مدى تجسيدها لأبعاد الهوية الوطنية الثلاث (الإسلام، العروبة والأمازيغية)، قد أخفق إلى حدّ كبير في الاستجابة لمتطلبات الوثائق الرسمية التي تمّ الانطلاق منها لتحديد معالم هذه الهوية وأبعادها، ذلك أنّ اختيار النصوص التعليمية المتضمّنة في الكتاب لم تخدم الغايات المسطرة والمحددة في كل من الدستور والقانون التوجيهي والمنهاج، فجزائرية الجزائري المصرّح بها لم تتحقق في هذا الكتاب، والقارئ لنصوصه يشعر بفجوة عميقة بين أصالة الشعب الجزائري وموروثه الديني والثقافي والحضاري واللغوي الثري ثراء الحضارات المتعاقبة

عليه، وبين هذه النصوص الجوفاء التي لولا بعض النصوص القليلة منها، لقلنا أنها لا تنتمي لكتاب صدر عن المنظومة التربوية الجزائرية، وعلى الرغم من أنّ بعض النصوص حقّقت فعلا أبعاد الهويّة الوطنية إلا أنّها تبقى قليلة مقارنة بالعدد الإجمالي للنصوص، مما يدفعنا للقول أن الكتاب الجديد لا يجسّد خطاب الهويّة الوطنيّة، وانطلاقا من هذا نقترح في الأخير بعض التوصيات التي قد تسهم في إثراء مادة اللغة العربية باعتبارها كفاءة مستعرضة وحاملة للقيم:

– انتقاء النصوص التعليمية وفق معايير محدّدة تكفل بتجسيد أبعاد الهويّة الوطنيّة، والقيم والمواقف المستهدفة خلال المرحلة التعلمية.

– إثراء النصوص المقترحة والمقررة في الكتاب المدرسي بوسائل توضيحيّة كالأشرطة السمعية البصرية والصور الفوتوغرافية وقصاصات من الجرائد تتناول الموضوع المعني بالدرس، أو إضافة آيات قرآنية وأحاديث نبويّة ومقولات وأمثال وحكم من شأنها أن تعمّق مفهوم الانتماء والهويّة.

– عدم تشويش ذهن المتعلم بنصوص تحمل قيما بعيدة عن العرف الاجتماعي وما يقوم عليه من مبادئ.

هوامش:

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1979، ص1295.

[2]– عبد الحميد بن باديس، ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، مجلة الشهاب، الجزء الحادي عشر، المجلد الحادي عشر، فيفري 1936، ص.605

[3]– الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية، العدد 78 المؤرخة في 01 ديسمبر 1996، ص.08.

[4]– الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 21 ، المؤرخة في 14 أفريل 2002 ، ص.13.

[5]– وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي رقم08-04 المؤرخ في 15 محرم عام 1429هـ الموافق لـ 23 يناير 2008، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 04.ص.08-09.

[6]– مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، مناهج الطور الأول من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، 2015، الجزائر.06.

[7]– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[8]– المرجع نفسه، ص.13.

[9]– المرجع نفسه، ص.31.

[10]- المرجع نفسه، ص.40.

[11]- المرجع نفسه، ص.42

[12]- علي عبد الله اليافعي، أساسيات النص التعليمي، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 130، 1990، ص.109.

[13]- فواز معمري، النص التعليمي بين النظري والتطبيقي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 13، 2017، جامعة بسكرة، الجزائر، ص.444.

[14]- محفوظ كحوال، دليل الأستاذ، اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم المتوسط، موفم للنشر، الجزائر، د ت، ص.22.

[15]- المرجع نفسه، ص.133.

[16] - المرجع نفسه، ص.135.

[17]- المرجع نفسه، ص.129.

[18]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[19]- محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم المتوسط، موفم للنشر، الجزائر، 2016، ص.112.

[20]- محفوظ كحوال، دليل الأستاذ، ص، 91.

[21]- المرجع نفسه، ص.137.

[22]- محفوظ كحوال، محمد بومشاط، كتابي في اللغة العربية ، ص.80.

[23]- المرجع نفسه، ص.36.